سبيل الوصول في شرح ثلاثة الأصول

تأليف

حسين بن مبارك الموزري

سبيل الوصول

في شرح ثلاثة الأصول

تأليف

حسين بن مبارك المويزري

تمَّ تنسيق هذه المادة في

هاتف: ٠٧٧ ٥٠٣٥٠ ٩٦٥+ البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Website of scientific research
supervision of Sheykh
HAYTHAM SARHAN

المملكة العربية السعودية
موقع التأصيل العلمي
بإشراف الشيخ هيثم سرحان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبدُه ورسولُه ، اللّهم صلِّ وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان .. أما بعد : فقد أطلعني أخي طالب العلم حسين مبارك المويزري وفقه الله على شرحه على كتاب ثلاثة الأصول وأدلتها لشيخ الإسلام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ؛ فوجدتُ شرحَه سهلًا مُختصرًا ، منقولًا في عمومه عن أهل العلم ، وقد طلبَ مني الأخ حسين أن أقدِّم لشرحه ، وها أنا ذا أجيبُه تشجيعًا له في مسيرته العلمية ، وحاثًّا له على الازدياد من العلم الشرعي ، على منهج أهل السنة والجماعة ، والعملِ كذلك بهذا العلم ما استطاع لذلك سبيلًا ، والاجتهاد في نشر العلم × وخاصة علمَي التوحيد والسُّنة بين الناس ، والصبرِ على ما يأتيه في سبيل ذلك .

د. هيثم بن محمد جميل سرحان

المدرس في معهد المسجد النبوي (سابقا) والداعية
بوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد
١١ رجب ١٤٣٩ هـ / ٢٨ مارس ٢٠١٨

Contact Tel :966504250337
islamtorrent@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمةُ الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا شرح مختصر لرسالة -ثلاثة الأصول وأدلتها- للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وأصل هذا الشرح دروس ألقيتها في مسجد سعد بن دبيس في دولة الكويت، فسجلها وفرغها أحد طلبة العلم، وطلب مني نشرها ليستفيد منها طلبة العلم، فأذنت له لعل الله أن ينفع به، وقد لخصت هذا الشرح من كتب العلماء، كالشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمهما الله، وغيرهم من أهل العلم، وهو بين يديك أيها القارئ الكريم، فما وجدت فيه من صواب وفائدة؛ فالفضل فيه راجع إلى الله وحده، وما وجدت فيه من خطأ، فهو مني، وأستغفر الله.

والله أسأل أن ينفع بهذا الشرح، وأن يبارك فيه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

حسين بن مبارك المويزري

٢٠١٨م / ١٤٣٩هـ

نبذةٌ موجزةٌ عن حياةِ المؤلفِ

نَسَبُــه:

هو الشيخُ محمدٌ بنُ عبدِ الوهاب بن سُليمانَ بن علي، من آلِ مشرفٍ من قبيلةِ بني تميمٍ المشهورةِ، وإمامُ الدعوةِ السلفيةِ في نجدٍ، وغيرها.

نشأتُه وعلمُه:

وُلِدَ في بلدة العيينة قرب مدينة الرياض سنة ١١١٥هـ، وحفظَ القرآنَ الكريمَ وهو صغيرٌ، وتتلمذَ على والدِهِ قاضي العيينة في وقتِهِ، وعلى غيرهِ من مشاهير علماءِ نجدٍ، والمدينةِ، والأحساءِ، والبصرةِ، فأدركَ علماً غزيراً أهَّله للقيام بدعوتِهِ المباركةِ، فى وقتٍ انتشرتْ فيه البدعُ، والخرافاتُ، والتبركُ بالقبورِ، والأشجارِ، والأحجارِ، فقام رحمه الله بالدعوةِ إلى تصحيحِ العقيدةِ، وإخلاصِ العبادةِ للهِ وحده.

مؤلفاتُه:

أَلَّف عدةَ كتب من أَشهرِهَا: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، ومسائل الجاهلية، والقواعد الأربع، وثلاثة الأصول وأدلتها، وهي الرسالة التي نحن بصدد شرحها إن شاء الله.

وفاتُه:

توفي رحمه الله في الدرعية قرب مدينة الرياض سنة ١٢٠٦هـ.

---

* للعلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله محاضرة مفرغة بعنوان (الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته)، ذكر فيها شيئاً من حياته رحمه الله، وجملة ممن ترجموا له.

ثلاثة الأصول وأدلتها

الأصول جمع أصل، **والأصل**: هو ما يبنى عليه غيره، والشيخ رحمه الله يقصد بها الأمور التي يُسأَلُ عنها الإنسان في قبره، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ وقد تميز هذا الكتاب على صغر حجمه بعدة مزايا:

١- التأصيل والعناية بالدليل، فلا يكاد يذكر مسألة إلا وأتبعها بالدليل.

٢- الوضوح في العبارة والبيان.

٣- التقاسيم النافعة، وهي نوع لتقريب العلم لطلبته، والعلم إذا لم يكن مرتباً لا يثبت، وإن كان مرتباً ومقسماً يثبت بمشيئة الله عز وجل.

٤- استعمال طريقة السؤال والجواب، وهذه طريقة القرآن والسنة، فهي تثير ذهن المتلقي، وتثبت له المعلومة.

٥- التلطف إلى القارئ، والشفقة عليه، كالدعاء له بالرحمة، والرشاد، وهذه الطريقة تحث القارئ لقراءة الكتاب، وترفع من همته.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.

الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رحمه الله: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ، لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رحمه الله: «بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ».

بدأ المصنفُ رحمه الله بالبسملة، والبدء بالسملة مشروع لأدلة كثيرة منها:

أولاً: الاقتداء بكتاب الله عز وجل، فإنه مبدوء بالبسملة.

ثانيـًا: اتباعـًا لفعله ﷺ حينما يراسل الملوك، فإنه يبدأ بالبسملة، ويدل عليها رسالته إلىٰ هرقل: «**بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، مِنْ مُحمدٍ رسُولِ اللهِ إلىٰ هِرَقْلَ عظِيمِ الرُّومِ**»(١)، فالبدء بها من سنن المُرسلين، وسنَّة خاتمهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠]، ونحن نقتدي بهم لقوله تعالىٰ مخاطبـًا نبيه ﷺ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالسنَّة في الرسالة إذا كتبها يبدأ بالبسملة(٢)، وفي الخُطب يبدأ بالحمدلة(٣)، وإن جمع بينها فلا بأس.

وقوله: (بِسْمِ اللهِ)، أي أبدأ تصنيفي هذا بسم الله، واسم الله عز وجل لا يقال في شيء إلا وحلت فيه البركة، كالقول عند البدء في الطعام، والخروج من المنزل، والدخول إليه، وعند الدخول إلىٰ المسجد، والخروج منه، وجميع الأمور التي يَشرع فيها الإنسان يبارك الله له فيها إذا بدأها بـ «بسم الله»، ولما

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٩٤١). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٧٣).

(٢) قال ابن حجر رحمه الله: «جمعت كتب النبيَّ ﷺ إلىٰ الملوك وغيرهم، فلم يقع في واحد منها البداءة بالحمد، بل بالبسملة" فتح الباري (٧/ ٢٢٠).

(٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة: «إن الحمد لله، نستعينه، ونستغفره... » الحديث، وللألباني رحمه الله رسالة سماها «خطبة الحاجة» جمع فيها الأحاديث الواردة فيها وطرقها.

ذكر الله ﷻ في آخر ثلاثة آيات من سورة الحشر جملة من أسماءه الحسنى بدأها باسم الله بقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، الآيات.

وجميع الأسماء الحسنى ترجع إلى اسم الله، وهو مشتق من أَلَهَ، يَأْلَهُ، أُلوهَةً، وهكذا جميع أسماءه تعالى مشتقة، وليست بجامدة.

وقوله: (**الرَّحْمَنِ**)، اسم من أسماء الله المختصة به، لا يسمى به غيره كاسم -الله-، ومعناه المتصف بالرحمة الواسعة، التي تشمل المؤمن والكافر.

وقوله: (**الرَّحِيمِ**)، من أسماء الله غير المختصة به، فيسمى الله ﷻ به، ويسمى غيره، قال الله تعالى في وصفه للنبي ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷻ في وصفه للمؤمنين: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومعنى (**الرَّحِيمِ**): أي ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

وقوله: (**اعْلَمْ**)، صيغة أمر للفت الانتباه عند القارئ والمستمع، وهذه الطريقة موجودة في القرآن، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

و(**رَحِمَكَ اللهُ**) دعاء للقارئ بالرحمة، وهذا من مزايا الرسالة الدعاء للقارئ.

وقوله: (**أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ**)، المسألة تطلق عند أهل العلم

ويراد بها قضية من قضايا العلم، وسُميت مسألة؛ لأنه يجري بها البحث والسؤال، وأول هذه المسائل قال المصنف رحمه الله: (**الْأُولَى: الْعِلْمُ**)، والعلم هو: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، وضد العلم الجهل، **وهو نوعان:**

١- **الجهل اليسير**: هو عدم الإدراك بالكلية.

٢- **الجهل المركب**: هو إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه.

فالإنسان إذا سألته وهو لا يعرف جواب السؤال وقال: لا أعلم، فهذا هو الجهل اليسير، وإذا سألته وهو لا يعرف جواب السؤال وأجابك بخلاف الصواب، فهذا جاهلٌ جهلاً مركبًا.

والعلم على نوعين:

١- **علم شرعي**: هو تعلم الكتاب، والسنَّة، وهذا ما وردت فيه النصوص الكثيرة في بيان فضله، كقوله تعالى:

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «**من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِهُه في الدين**»(١)، وقال: «**مَنْ سَلَكَ طرِيقًا يلتَمِسُ فيهِ عِلمًا؛ سَهَّلَ اللهُ لهُ طريقًا إلى الجنَّةِ**»(٢)، واعلم بأن جميع النصوص التي وردت في الكتاب والسنَّة، وذكر فيها فضل العلم، فالمقصود بها العلم الشرعي لا الدنيوي.

٢- **علم دنيوي**: كالطب والهندسة، وهو كأصل فرض كافية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣١١٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٦٩٩).

بحسب حاجة المسلمين، ويرجع إلى نية القائم به، والأدلة عليه هي الأدلة العامة كقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**»[١].

ومن هنا يتبين لنا خطأ من نزل الأدلة التي تبين فضل تعلم العلم، وثوابه، ومنزلة أهله على العلوم الدنيوية؛ لأن العلم الشرعي له أحكام، والعلم الدنيوي له أحكام، فقد يكون العلم الدنيوي فرض كفاية؛ كإعداد القوة للكفار إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقي، وعلم الآخرة في حق الإنسان فرض عين بأن يتعلم ما يحتاج إليه من العبادات، والمعاملات، والعلم الشرعي إذا طلبه الإنسان من أجل الرئاسة، والمناصب، وثناء الناس عليه بهذا العلم يأثم، وقد ورد فيه الوعيد الشديد كقوله ﷺ في الثلاثة الذين تسعر بهم نار جهنم ذكر منهم: «**ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرَّفه نعمَه فعرفها، قال فما عملتَ فيها؟ قال: تعلمتُ العلم وعلمتُهُ، وقرأتُ فيك القرآن، قال كذبتَ، ولكنك تعلمتَ ليقال عالم، وقرأتَ القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثُمَّ أمر به فسُحبَ على وجهه حتى ألقي في النار**»[٢]، وأما العلم الدنيوي فإذا طلبه الإنسان من أجل الدنيا فهذا لا يترتب عليه إثم.

فإذا أردتَ أن تعرف شرف العلم، فانظر إلى شرف المعلوم، وهذا هو الذي يريده المؤلف رحمه الله "**العلم الشرعي**".

وقوله: (**وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ**)، أي: معرفة أسماءه وصفاته، وأوامره ونواهيه، فتفعل الطاعات، وتترك المنكرات.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (١).

(٢) أخرجه النسائي في «سننه» برقم: (٣١٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح النسائي».

وقوله: (**وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ** ﷺ)، أي: أن تعرفه بشخصه، فتعرف اسمه محمد بن عبد الله، وتقتضي معرفته أن تصدقه فيما أخبر، وتطيعه فيما أمر، وتجتنب ما نهى عنه وزجر، وألا تعبد الله إلا بما شرع.

وقوله: (**وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ**)، ذكر المصنف رحمه الله (**الإِسْلامِ**) والإسلام له معنيان **عام، وخاص:**

١- **العام**: هو التعبد لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرُّسُل إلى قيام الساعة، فجميع الرُّسُل دعوا إلى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾[البقرة: ١٢٨]، وجميع أنبياء بني إسرائيل مسلمون، قال الله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقالت بلقيس ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، فهذا هو الإسلام بالمعنى العام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة له من الشرك، فهذا الذي بعث الله به أنبياءه جميعاً.

٢- **الخاص**: هو ما بعث الله به محمداً ﷺ، فنسخ جميع الأديان السابقة، فصار من اتبعه مسلماً، ومن خالفه

ليس بمسلم، فأتباع الرُّسُل مسلمون في زمن رسلهم، كاليهود والنصارى في زمن موسى وعيسى عليهما السلام، ولكن لما بعث الله نبيه محمداً ﷺ لم يقبل إلا الإسلام الخاص، وهو دين محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾

[آل عمران: ٨٥]، وهذا الإسلام هو الذي امتن الله به على محمد ﷺ، وعلى أمته بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وهذا يبين لك خطأ من يقول: إنَّ اليهودي اليوم على دين صحيح، والنصراني اليوم على دين صحيح، ويستدل بمثل هذه الآيات، وهو لا يعرف أن الإسلام له معنيان: **عام، وخاص**.

وقوله: (**بِالأَدِلَّةِ**)، والأدلة جمع دليل، والدليل: هو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على نوعين:

١- **أدلة سمعية**: وهي الكتاب والسُنَّة.

٢- **أدلة عقلية**: وهي مخاطبة الكفار بذكر آيات الله، أي بمخلوقاته، وهذا كثير في القرآن كذكر السماء، والجبال، والبحار.

وقد ربط المصنف رحمه الله المسائل بالأدلة، وهذا هو الواجب على المسلم أن يعبد الله تعالى على بيِّنة، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴾ [محمد: ١٤]، **والبيِّنة**: هي الحجة والبرهان [١].

قوله: (**الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ**)، ذكر المصنف العمل بعد العلم؛ لأن العلم بلا عمل لن ينفع صاحبه.

قال سفيان الثوري رحمه الله:

الْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ [٢]

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري «سورة محمد: ١٤»

(٢) ذكره ابن عبد البر رحمه الله في «بيان العلم وفضله ١-٧٠٦».

فبعد أن ذكر المصنف العلم ذكر بعده العمل؛ لأن العلم وحده لا يكفي، فقد يكون حجة لك أو عليك، والدليل قوله ﷺ: «**والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليك**»(١)، فإن عملت به كان حجة لك، وإن لم تعمل به كان حجة عليك، ولهذا نجد كثيراً في القرآن ما يقرن الله تعالى بين العلم والعمل، وبين العمل والإيمان، والإيمان أوله العلم، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]، أي: تعلموا ثُمَّ عملوا، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾[التوبة: ٣٣]، قال أهل العلم: **الهدى**: هو العلم النافع، **والدين الحق**: هو العمل الصالح(٢)، ولهذا قال لك المؤلف رحمه الله: (**العمل به**).

والأعمال على أربعة أنواع:

الأولى: أعمال قلبية، كالخوف، والرجاء، والتوكل، والمحبة.

الثانية: أعمال بدنية، كالصلاة، والصيام، وإماطة الأذى عن الطريق.

الثالثة: أعمال مالية، كالصدقة، والزكاة.

الرابعة: أعمال قولية، كتلاوة القرآن، والذكر.

وبعدما قال (**الْعَمَلُ بِهِ**)، قال: (**الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ**)، أي: بعد أن حصَّل العلم، وعمل به، وجب عليه نشره بحسب ما آتاه الله من علم، كل ينشر بحسب ما عنده من علم، ومن ذلك أن ينشره عبر الوسائل الحديثة كالرسائل،

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٢٣).

(٢) تفسير السعدي رحمه الله «سورة التوبة: ٣٣».

وكالمقاطع الصوتية والمرئية، وإن كان إماماً نشره بالخطب، والدروس، والمحاضرات التي يقيمها في مسجده، فلا يكفي أنك تتعلم، وتعمل فقط، بل لابد أيضاً لك أن تنشر هذا العلم.

وقوله: (**الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيه**)، **والصبر**: حبس النَّفس عَن محارم الله، وحبسها على فَرَائِضه، وحبسها عَن التسخط، والشكاية لأقداره[1]، فبعد أن علمتَ، وعملتَ، ودعوتَ، هل تظن بأنك إذا دعوت الناس، وأنكرت المنكرات، وأمرت بالمعروف سيكون ذلك من غير أذىً منهم؟، لا بُدَّ أنْ يصيبك الأذىً كما أصاب الرُّسُل، ولكن يجب عليك الصبر، فهذه حكمة الله في خلقه.

والصبر ثلاثة أقسام:

١- صبرٌ على طاعة الله.

٢- وصبرٌ عن محارم الله.

٣- وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة.

فلابد من أن تكون صابراً على طاعة الله، وصابراً على الأذىً الذي سيصيبك، وتوقن بأن الله ناصرك، وأن الذي يجب عليك أن تدعو وتُرشد الناس، ولا تنشغل بسرعة الاستجابة منهم، بل أنت ما عليك إلا هداية الإرشاد، وأما هداية التوفيق فهي لله خاصة لا يملكها أحد، لا مَلَك ولا رسول، والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، فدعوة الناس لابُدَّ لها من الصبر، قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) قاله ابن القيم ﷺ في «رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص: ١٨».

﴿وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

فإقامة الصلاة عمل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة إليه، ثُمَّ أوصاه بالصبر، لأن هذا ما سيتعرض له من عمل بهدي الرُّسُل والصالحين.

قوله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ...**)، **وقوله تعالىٰ:** ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، هو قسم من الله تعالىٰ بالعصر الذي هو الدهر، وله سبحانه أن يقسم بما يشاء.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾، أي جنس الإنسان في خسارة، ثم استثنىٰ سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

فالسورة جمعت:

١- العلم.
٢- والعمل.
٣- والدعوة إليه
٤- والصبر علىٰ الأذىٰ.

وقوله: (**قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»**)، والشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ هو: محمد بن إدريس الشافعي أحد أئمة المذاهب الأربعة المتبوعة، توفي سنة ٢٠٤ هـ رَحِمَهُ اللَّهُ، وفي رواية له قال: «لو فكر الناس بهذه السورة لكفتهم»[(١)]، أي لو نظروا وتأملوا فيها لكان ذلك كافياً للزوم الحق، لا يعني قوله هذا بأنها تغني عن بقية القرآن، فالقرآن فيه من الأحكام التي لا يتحقق الإسلام إلا بها، وهي غير موجودة في هذه السورة، لكن المقصود من

(١) ذكر هذا الأثر غير واحد من أهل العلم، ومنهم ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٥٢)، وابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (٨/ ٤٥٦).

قوله ﷺ أن هذه السورة كافية على أن تكون حجة على الناس في المسائل الأربع، وهي: العلم، والعمل، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

وقوله: (وَقَالَ الْبُخَارِيُّ ﷺ: «بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ...)، البخاري هو: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، إمام المحدثين ﷺ توفي سنة ٢٥٦ هـ، وممّا تميز به صحيح البخاري احتواءه على فقه البخاري، وكما قيل فقه البخاري في تراجمه، وهذه التراجم فيها فوائد كثيرة، ومعنى كلامه أن تطلب العلم وتتعلمه ثم تعمل، لا أن تعمل على جهل، ودليله قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، أي تعلم التوحيد، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾، هنا قول وعمل، لذلك قال البخاري ﷺ: «فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ»، والمسلم يقول بعد صلاة الفجر: «**اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»(١)، فأول سؤال نسأله الله في يومنا هو أن يرزقنا العلم النافع، وهو العلم الشرعي، والإنسان إذا استشعر أنه سينال الخيرية، والثواب العظيم بتعلمه للعلم الشرعي، ونشره للناس صار أكثر طلباً له، قال رسول الله ﷺ: «**خيرُكُم مَنْ تعلمَ القرآنَ وعلمه**»(٢)، وفي رواية: «**أَفْضَلُكُمْ**»(٣)، وقال ﷺ: «**من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِهُه في الدين**»(٤)، فإذا كنتَ تتعلم العلمَ، وتنشره لتنفع الناس، وتريد بذلك كله وجه الله، فاعلم أن الله يريد بك خيراً.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٩٢٥)، وصححه الألباني في «الروض النَّضير» برقم: (١١٩٩)

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم (٥٠٢٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٢١١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (١١٧٣).

(٤) تقدم تخريجه (ص: ٦).

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة: ٢٢].

قوله: (**اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ**)، وهذا واجب عيني على كل مسلم، أي: لابد على كل مسلم أن يعلمه، ويفعله، فلا يسقط عنه، وهذه المسائل التي سيذكرها المصنف رحمه الله جميع المسلمون سيُسألون عنها.

وقوله: (**تَعَلُّمُ ثَلَاثِ هَذِهِ المَسَائِلِ**)، وطريقة ذكر العدد طريقة مستخدمة في الكتاب والسنَّة، وهي تجعل المستمع أكثر انتباهاً وتركيزاً، قال النبي ﷺ: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ**»(١)، وقوله: «**اجْتَنِبوا السبعَ المُوبقات...**»(٢)، قال ﷺ: «**السبعَ**» مع أن الكبائر أكثر من ذلك، لكن الرسول ﷺ قال تشويقاً لضبطها، واجتنابها.

وقوله: (**والْعَمَلُ بِهِنَّ**:)، أي لا يكفيك مجرد العلم بها، بل لابُدَّ من عمل.

قوله: (**الأُولَى**)، أي أول هذه المسائل: (**أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا**)، وهذه المسألة لها دليل سمعي(٣)، ودليل عقلي(٤)، فالسمعي قول الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ**﴾[الأعراف: ١١].

وأما الدليل العقلي فقد جاءت الإشارة إليه بقوله عز وجل: ﴿**أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ**﴾ [الطور: ٣٥]، فالإنسان لم يَخْلُقْ نفسه، وهو قبل وجوده كان عدماً، والعدم لا يخلق، فلم يبقى إلا أن الله هو خالقه سبحانه.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٨)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٨٥٧).

(٣) الدليل السمعي: هو الكتاب، والسنة.

(٤) الدليل العقلي: هو ما ثبت بالنظر، والتأمل.

وقوله: (وَرَزَقَنَا)، والأدلة على رزق الله ﷻ لنا كثيرة من الكتابِ، والسُّنَّةِ، والعقلِ:

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[الذاريات: ٥٨].

ومن السنَّة: قوله ﷺ في حديث نفخ الروح: «**ثُمَّ يُبعَثُ إليهِ المَلَكُ فيُؤْذَنُ بِأَرْبعِ كلِماتٍ، فيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وأَجَلَهُ، وعَمَلَهُ، وشقِيٌّ أَمْ سعِيدٌ**»(١).

ومنها العقل: فلأننا لا نعيش إلا على طعام، وشراب، والخالق لهذا الطعام، والشراب هو الله، كثيراً ما يخاطب الله ﷻ الكفار بالأدلة العقلية، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤].

وقوله: (وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا)، وهذا هو الواقع الذي تدل عليه الأدلة السمعية، والعقلية:

فمن الأدلة السمعية: قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ومن الأدلة العقلية: وجود هذه البشرية لتحيا، ثُمَّ تتمتع كما تتمتع الأنعام، ثُمَّ تموت إلى غير بعث، ولا حساب؛ هذا أمر لا يليق بحكمة الله ﷻ، بل هذا عبث محض، ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة، ويرسل إليها الرُّسُل، ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرُّسُل عليهم السلام، ثُمَّ تكون النتيجة لا شيء! فهذا لاشك مستحيل على حكمة الله ﷻ، وما من أمَّة إلا وقد أرسلَ الله ﷻ إليها نذيراً لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، أي: لا يوجد أمة إلا وفيها نذير.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٤٥٤).

وقوله: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ)، والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [النساء: ١٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ومن السنَّة قوله ﷺ: «**كُلُّ أمتي يَدخلونَ الجنَّة إلا مَنْ أبى، قالوا: يا رسول الله، ومَنْ يأبى؟ قال: مَنْ أطاعني دَخَلَ الجنَّةَ، ومَنْ عَصَاني فقد أبى**»(١)،ومن الأدلة أيضًا قوله ﷺ عندما رأى مع عُمَرَ رضي الله عنه صحيفةً فيها شيء من التَّوراة، فقال له: «**أفي شكٍّ أنت يا ابن الخطَّاب؟ ألم آت بها بيضاء نقيَّة؟ لو كان أخي موسى حيًّا ما وسعه إلاَّ اتِّباعي**»(٢)، فمع علم الرسول ﷺ أن موسى عليه السلام ميت قال هذه المقالة، لبيان أنه لن ينجو أحد بعد بعثته إلا بطاعته، واتباعه ﷺ.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾)، فالآية الأولى فيها دليل على طاعة الرسول ﷺ، والثانية فيها دليل على عدم معصيته.

وقوله: (الثَّانِيَةُ)، أي ثاني هذه المسائل: (أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾)، أي: أن الذي خلقنا، ورزقنا، وأرسل إلينا رسولاً؛ لا

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢٨٠).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٨٧)، وحسنه الألباني في «إرواء الغليل» برقم: (١٥٨٩).

يرضى أن يُشرك معه أَحَدٌ، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فيها المنع من إشراك غيره معه في العبادة، وقوله: ﴿أَحَدًا﴾، نكرة في سياق النهي تفيد العموم، والقاعدة: أن الله لا ينهى عن شيء إلا لأنه لا يرضاه.

وقوله: (الثَّالِثَةُ)، أي ثالث هذه المسائل: **(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)**، وهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو: "**الولاء والبراء**" [1]، ولا يتحقق هذا إلا إذا حققت طاعة الله ورسوله، بترك ما نهى عنه، وفعل ما أمر به، ووحدت الله ﷻ، فحينها لابد من البراءة وبغض من حاد الله ورسوله ﷺ، والدليل على وجوب الولاء لله، ولرسوله، وللمؤمنين، والبراء من الكفار الآية التي ذكرها المصنف ﷺ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾.

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٧]، وقد جعل الله لنا إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة، ففي قصته مع قومه قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فلابُدَّ من معاداة من يحادد الله ورسوله ﷺ، ولو كان أقرب قريب، ولكن هذا لا يمنع أن تدعوه للإسلام، أو أن تبرَّه من باب صلة الرحم، وترغبه في الإسلام، وقد اسْتَفْتَتْ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما رسول الله ﷺ، عندما زارتها أمها، وهي مشركة فقالت: (يا رسُولَ اللهِ إنَّ أُمِّي

---

(١) **الولاء**: هو الحب في الله، والمناصرة فيه. **والبراء**: هو البغض في الله، والمعاداة فيه.

قَدِمَتْ عليَّ وهيَ راغِبَةٌ أفَأَصِلُها؟ قالَ: «نعمْ صِلِيهَا»)[١]، وفي رواية: (راغِمَةٌ)[٢].

ومعنى **راغبة**: أي راغبة في الصلة، وفي العطية، ومعنى **راغمة**: أي كارهة للإسلام مصرة على الكفر.

والمسلم يباح له أن يتعامل مع الكفار بالبر والقسط، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، ويباح له أن يتعامل معهم بيعـًا، وشراءً، وإجارة، والنبي ﷺ مات ودرعه مرهون عند يهودي، واشترى ﷺ من وثني أغنامًا، ووزعها على أصحابه ﭫ، وقد أباح لنا الله تعالى طعام أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وأباح لنا النكاح من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥].

وإنما المحرم موالاتهم ومحبتهم، ونصرتهم على المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٩٧٩). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٠٣).

(٢) أخرجه أبي داود في «سننه» برقم: (١٦٦٨) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» برقم: (١٦٦٨).

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه الشِّركُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

قوله: (**اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ**)، أي: هداك الله ووفقك لفعل المأمور، وترك المحظور.

وقوله: (**أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ**)، أي: المائلة عن الشرك المقبلة على التوحيد.

وقوله: (**مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ**)، أي: الدين الذي سار عليه إبراهيم عليه السلام، ثُمَّ بيَّن الحنيفية التي هي ملة إبراهيم عليه السلام، فقال رحمه الله: (**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ**).

وقوله: (**وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾)، ثُمَّ ذكر رحمه الله معنى: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، فقال: (**وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ**)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (**كَلُّ ما وَرَدَ في القرآنِ مِنَ العبادةِ فمَعْناها التَّوْحِيدُ**)[1]، ومراد المصنف رحمه الله الأوّل في قوله: (**يُوَحِّدُونِ**)، هو توحيد الألوهية الذي ضل به المشركون، وقاتلهم عليه النبي ﷺ، وأما توحيد الربوبية فالمشركون مقرون به، ولم يجحده أحدٌ إلا استكباراً، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ٣١].

وقوله: (**وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ**)، التوحيد هو: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات.

وبالتتبع والاستقراء لنصوص الوحي قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري، والبغوي «سورة البقرة: ٢١».

١- **توحيد الربوبية**: وهو إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزمر:٦٢].

٢- **توحيد الألوهية**: وهو إفراد الله تعالى بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[النساء:٣٦].

٣- **توحيد الأسماء والصفات**: وهو إفراد الله تعالى بما سمى به نفسه، ووصف به نفسه في كتابه، أو على لسانه رسوله ﷺ، وذلك بإثبات ما أثبته، ونفي ما نفاه، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

وقد أحدث بعض المعاصرين تقسيماً رابعاً للتوحيد، سماه (**توحيد الحاكمية**)[١]، والصحيح أن توحيد الحاكمية مندرج في الأقسام الثلاثة فلا داعي لإفراده بقسم رابع، **فالحاكمية داخلة في**:

توحيد الربوبية: باعتبار أن الحكم لله.

توحيد الألوهية: باعتبار أنه يجب علينا الخضوع، والتحاكم، والتطبيق لحكم الله، وشرعه، وأنه لا يجوز التحاكم لغيره.

توحيد الأسماء والصفات: باعتبار أن الله هو العدل، والحكم، والحاكم.

---

(١) سُئِل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله عن من أضاف إلى التوحيد قسماً رابعاً وأسماه "توحيد الحاكمية"، فأجاب: من يدعي أن هناك قسماً رابعاً للتوحيد تحت مسمى توحيد الحاكمية، يعد مبتدعاً فهذا تقسيم مبتدع صدر من جاهل لا يفقه في أمر العقيدة، والدين شيئاً! وذلك لأن الحاكمية تدخل في توحيد الربوبية من جهة أن الله يحكم بما يشاء، وتدخل في توحيد الألوهية لأن العبد عليه أن يتعبد الله بما حكم، فهو ليس خارجاً عن أنواع التوحيد الثلاثة وهي: توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد أسماء الله وصفاته". «جريدة المسلمون» عدد (٦٣٩).

فالحاكمية تدخل في أنواع التوحيد الثلاثة، ومن وضعه ربما أراد تكفير الحكام عمومًا، وبلا تفصيل، والله أعلم.

والعبادة أحسن تعريف لها هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة كالخوف، والخشية، والتوكل، والصلاة، والزكاة، والصيام، وغير ذلك من شرائع الإسلام»(١).

والعبادة لها ركنان:

الأول: كمال الحب.

الثاني: كمال الذل والتعظيم.

قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادةُ الرحمنِ غايةُ حبِّهِ ... مع ذُلِّ عابِدِهِ هما قطبانِ

وعليهما فلكُ العبادةِ دائرٌ ... ما دار حتى قامت القطبانِ(٢)

قال حافظ الحكمي رحمه الله: متى يكون العمل عبادة؟ إذا كمل فيه شيئان وهما: كمال الحب، مع كمال الذل. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، هذا دليل كمال الحب، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧]، هذا دليل كمال الذل(٣).

---

(١) العبودية (١/ ٤٤).

(٢) نونية ابن القيم «الكافية الشافية» (١/ ٣٥).

(٣) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة المنجية المنصورة (١/ ٦).

ولا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ أي عبادة إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

الثاني: المتابعة للنبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

والعبادة لها أقسام:

أولاً من حيث العملُ:

١- **عبادة بدنية**: كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن.

٢- **عبادة مالية**: كالزكاة.

٣- **عبادة بدنية مالية**: كالحج.

ثانيًا من حيث الجهةُ التي تقوم بها:

١- **عبادة القلب**: كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة.

٢- **عبادة اللسان**: كالذكر، والدعاء.

٣- **عبادة الجوارح**: كالصلاة، والجهاد.

وذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ دليل توحيد العبادة لله، بقوله تعالى: (﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾، فقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ، هذا توحيد الله، وقوله: ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ﴾، هذا نهي عن الشرك، وقوله: ﴿شَيۡـٔٗا﴾، نكرة في سياق النهي تُفيد العموم، فيدخل في النهي الشرك في الربوبية، وفي الأسماء والصفات، وفي الألوهية، والشرك الأكبر، والأصغر، والشرك بالقلب، واللسان، والجوارح.

وقوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟)، أي إذا سألك سائل عن الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، قال: (فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، هذه الأصول الثلاثة تجمع الدين كله، وهي مَنْ ربك؟، وما دينك؟، ومَنْ نبيك؟، وهي التي يسأل عنها العبد في قبره، ومعرفة الله عَزَّوَجَلَّ تكون في النظر إلى مخلوقاته عَزَّوَجَلَّ، فمخلوقاته هي آياته الكونية التي تدل على الخالق، لذلك لما ذكر الله تعالى في كتابه المخلوقات بقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، ختمها بقوله: ﴿لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، أي أصحاب العقول، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وقال: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦]، فآيات الله عَزَّوَجَلَّ **نوعان**:

النوع الأول: آيات كونية.

النوع الثاني: آيات شرعية.

والآيات الكونية هي: مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، كالشمس، والقمر، والجبال، والبحار.

والآيات الشرعية هي: الوحي الذي أنزله الله على رُسُوله محمد ﷺ.

ولهذا قد أحسن من قال:

وَفِي كُـلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ　　　تَـدُلُّ عَلىٰ أَنـهُ واحِدُ[١].

وقوله: (وَدِينَهُ)، أي معرفة الأصل الثاني، وهو دين الإسلام الذين ارتضاه الله لعباده، وما تضمنه من الحكمة، والرحمة، ودرء المفاسد، ومن تأمل دين الإسلام وفهمه وفق الكتاب والسنة عرف أنه الدين الحق، وأن مصالح العباد والخلق لا تقوم إلا به.

وقوله: (وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)، هذا هو الأصل الثالث، وهو معرفة الإنسان نبيه محمداً ﷺ، ومعرفته تحصل بالاطلاع علىٰ سيرته، وسنته، وهديه ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) قاله لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري رضي الله عنه. أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد علىٰ النبي ﷺ وأسلم رضي الله عنه.

الأصلُ الأوَّلُ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ: مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِه ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، [فصلت: ٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ».

قوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟)، أي: إذا سألك سائل فقال من ربك؟ قال: (فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ)، أي: أن الله الذي رعاني، ورباني، وربى جميع العالمين بنعمه، فكل العالمين قد رباهم الله بنعمه، وأمدهم برزقه، قال تعالى في محاورة موسى وفرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه: ٥٠]، فكل أحد من العالمين قد رباه الله ﷻ بنعمه، ونعم الله تعالى كثيرة، والعالمين جمع عالم، عالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الملائكة.

وقوله: (وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ)، أي: هو الذي أخضع له بالعبادة، وأحبه، وأفعل ما يأمرني به، وأترك ما ينهاني عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥].

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)، أي: الوصف بالكمال والجلال والعظمة لله تعالى، الذي هو مربيهم بالنعم، ومالكهم.

وقوله: (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ)، أي: كُلُّ ما غير الله عالم، كعالم الجن، والإنس، والبهائم، والجبال، والأشجار، فجميع المخلوقات عالم، وأنا المجيب بهذا واحد من ذلك العالم.

وقوله: (فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟)، أي: إذا سألك سائل بأي شيء عرفتَ اللهَ ﷻ؟ قال: (فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ...)، فكلُّ هذه من آيات الله الكونية الدالة على كمال قدرة الله ﷻ، فأنتَ عرفتَ اللَه بآياته، ومخلوقاته.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ...﴾)، فكل هذه المخلوقات تدل على أنه هو رب العالمين، وهو الخلاَّق العظيم، وذكر المصنف رحمه الله دليلاً آخرَ من كتاب الله عز وجل، وهو قوله: (﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾)، وفي هذه الآية دلالة على أن الله عز وجل هو الخالق لهذه المخلوقات العظيمة، وكلها تدل على الله عز وجل.

وقوله: (وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ)، هذا تفسير للدليل الذي ذكره المصنف رحمه الله، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ...﴾.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ...﴾)، النداء في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ موجه للناس جميعاً [1]، وهذا أول أَمر في القرآن؛ أمرهم الله عز وجل بإفراده بالعبادة، أي يُلْزِم كُلَّ مَنْ أقر بربوبية الله أن يعبده وحده، وإلا كان متناقضاً.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، **التقوى هي**: أن تجعل بينك وبين عذاب الله عز وجل وقاية، باتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، أي: ممهدة لكم، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: أي: جعلها فوقكم سقفاً لأهل الأرض، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، أي: أنزل من السحاب ماءً طهوراً، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم﴾، وقوله: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾، أي: عطاءً، وفي آية أخرى قال:

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾، للفريقين جميعاً من الكفار والمنافقين، أي وَحِّدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم". تفسير ابن جرير الطبري «البقرة: ٢١».

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٣]، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، وهذا أول نهي في القرآن، وهو النهي عن الشرك بالله، وجعل أنداد معه، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أي: وأنتم تعلمون بأنه بيده الخلق، والرزْق، والتدبير، ولا يشاركه في ذلك أحد، فأخلصوا له بالعبادة.

وقوله: (قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ)، ابن كثير هو إسماعيل بن عمر القرشي الحافظ صاحب التفسير توفي عام ٧٤٤هـ، وهذا القول قاله في تفسيره.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلام، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهَا: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا -كُلُّهَا للهِ تَعَالَى-.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]. فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قوله: (**وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا**)، لما ذكر المؤلف رحمه الله أن الواجب علينا أن نفرد الله بالعبادة، أراد أن يبين لنا شيئًا من أنواع العبادة.

وقوله: (**مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ**)، وهذه الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، هي الدين كما جاء ذلك من حديث عمر رضي الله عنه المعروف بحديث جبريل عليه السلام، -سيذكره المصنف في آخر الأصل الثاني-، والإسلام بأركانه وأعماله الظاهرة، وكل ما أمر الله به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة، وصوم، وغير ذلك، وهكذا الإيمان؛ بأعماله الباطنة، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسُلِه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وكذلك الخوف، والرجاء إلى غير ذلك، وكل ما يتعلق بالقلوب هو داخل بالعبادة، بل هو أعظم أنواع العبادة.

وقوله: (**وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ...**)، ذكر المصنف رحمه الله جملةً من أنواع العبادة، وذكر بأن من صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ.

وقوله: (**وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ**)، ووجه الدلالة من هذه الآية أن الله تعالى أخبر أن المساجد؛ وهي مواضع السجود لله تعالى وحده، وقوله: ﴿**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾، أي لا تدع مع الله عز وجل أحداً، لا ملكًا مقربًا، ولا نبيًّا مُرسلاً، ولا وليًّا صالحًا، ولا أي أحد، وهذه نكرة في سياق النهي فتعم أي أحد.

وهذه قاعدة: أن النكرة في سيا ق النهي تعم[1].

---

(١) قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في منظومة القواعد الفقهية:

«**والنكراتُ في سياقِ النفيِ تُعطِي العمومَ أوْ سياقِ النَّهْيِ**».

ووجه الدلالة من قوله تعالىٰ: (﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾)، بين الله ﷻ أن من يدعو معه إلهًا آخرَ؛ فإنه كافر، لأنه تعالىٰ قال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي قوله: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، أي لا برهان له علىٰ تعدد الألهة.

وقوله: (وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ»)، ومخ العبادة: هو خالصها وسر قوتها.

قال المباركفوري رحمه الله: «الدعاء مخ العبادة: المخ بالضم نَقْي العظام، والدماغ، وشحمة العين، وخالص كل شيء، والمعنىٰ أن الدعاء لب العبادة وخالصها لأن الداعي؛ إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد، والإخلاص، ولا عبادة فوقهما» (١)، وهذا الحديث ضعفه أهل العلم (٢)، والحديث الصحيح هو: (الدُّعاءُ هُوَ الْعِبادَةُ) (٣)، وهنا شرع المصنف رحمه الله في ذكر الأدلة علىٰ أنواع العبادات السابقة (٤).

وقوله: (وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾)، في أول الآية قال الله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ﴾، ثم قال في آخرها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) تحفة الأحوذي (٩/ ٢١٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٣٧١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير» برقم: (٣٠٠٣).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (١٤٧٩)، وابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٨٢٨)، والترمذي في «سننه» برقم: (٢٩٦٩)، وصححه الألباني في «الجامع الصغير وزيادته» برقم: (٥٧١٩).

(٤) وهذا ما يسميه أهل البلاغة: باللف والنشر المرتب، فيبدأ بإيجاز ثُمَّ يفصل بالأدلة علىٰ سبيل الترتيب، الأول للأول، والثاني للثاني، وهكذا.

﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، سمى الدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك.

والدعاء على نوعين:

الأول دعاء مسألة (١): هو دعاء الطلب، أي طلب الحاجة، وهو عبادة إذا كان من العبد إلى ربه.

الثاني دعاء عبادة: هو عبادة الله تعالى بأنواع العبادات، من الصلاة، والذبح، والنذر، والصيام، وغيرها خوفًا، وطمعًا رجاء رحمته، وخوف عذابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب، فمن عبد الله تعالى راغبًا في جنته، راهبًا من ناره، فهو داعٍ له ﷺ، وقد فُسِّر قول الله ﷻ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...﴾، أي: اعبدوني وامتثلوا أمري أستجب لكم وأُثيبكم، ولهذا جاء بعدها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

❁❁❁

(١) ويجوز أن يصدر من العبد إلى غير الله إذا كان المدعو يعقل الدعاء، ويقدر على الإجابة، كمن يسأل شخصًا بأن يُطعمه، فهنا يسأله، ويدعوه، وهذا قادر على إطعامه، فهذا جائز، ومن الأدلة على جواز هذا النوع من دعاء المسألة قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [الأحزاب: ١٥].

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، [آل عمران: ١٧٥]، وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»، وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام]، وَمِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»، ودليل النذر: قوله تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

قوله: (وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾)، قد نهى الله سبحانه وتعالى عن الخوف من أولياء الشيطان، وأمر بالخوف منه وحده، **والخوف ثلاثة أنواع**:

النوع الأول: **خوف عبادة**، كأن يخاف من أحد تعبداً له، فهذا لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر.

النوع الثاني: **خوف محرم**، كمن يترك إنكار المنكر خشيةَ غضب مَنْ في المكان.

النوع الثالث: **خوف طبيعي**، كخوف الإنسان من الأسد، والنار، وهذا لا يؤاخذ عليه الإنسان.

وقوله: (وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ...﴾)، **الرجاء**: هو المتضمن للذل، والخضوع لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أكبر، أو أصغر، بحسب ما يقوم بقلب الراجي، والرجاء المحمود لا يكون إلا لمن عمل بطاعة الله، ورجى ثواب الله، أو تاب من معصيته، ورجى قبول توبته، فأما الرجاء بلا عمل؛ فهو غرور، وهذا مذموم.

وقوله: (وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، **وقوله**: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾)، **التوكل**: هو الاعتماد على الشيء، **والتوكل على الله**: هو اعتماد القلب على الله في كل الأمور مع الأخذ بالأسباب، فتعتمد على الله بالسلامة من الشر، والعافية من الفتن، وحصول الرِزق، وفي دخول الجنة، والنجاة من النار، مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

والتوكل إما أن يكون:

- على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو من كمال الإيمان، وعلامة صدق، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به.

- على غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهو التوكل على الأموات في جلب النفع، ودفع الضر، وهذا شرك أكبر، سواء كان الميت نبيًّا، أو وليًّا.

وقوله: (وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾)، **الرغبة:** هي محبة الوصول إلى المحبوب. **والرهبة:** هي الخوف المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل، **والخشوع:** هو الذل لعظمة الله عَزَّوَجَلَّ، بحيث يستسلم لقضاء الله، الكوني، والشرعي.

وقوله: (وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾)، **الخشية:** هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه، فالخشية أخص من الخوف، والفرق بينهما؛ أن خوفك من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا!، يسمى خوفًا، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك، فهذه خشية.

وقوله: (وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾)، **الإنابة:** هي الرجوع إلى الله، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته، وهي أبلغ من التوبة، ولا تكون إلا لله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾، أي: الإسلام الشرعي وهو: الاستسلام لأحكام الله الشرعية.

وقوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَفِي الْحَدِيثِ: (وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ))، **الاستعانة: على أربعة أنواع:**

النوع الأول: الاستعانة بالله، وهي الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته.

النوع الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه، فهذه على حسب المستعان، فإن كانت على برٍّ، فهي جائزة للمستعين، ومشروعة للمعين، لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وإن كانت على إثم، فهي حرام على المستعين، والمعين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وإن كانت على مباح، فهي جائزة للمستعين، والمعين، لكن المعين قد يُثاب على ذلك، لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

النوع الثالث: الاستعانة بمخلوق حي، وحاضر، وغير قادر، فهذه لغو، كأن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

النوع الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقًا، أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته، فهذا شرك أكبر، ولا يقع هذا إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون.

وقوله: (**وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ**: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، وَ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾)، **الاستعاذة**: هي طلب الإعاذة، والإعاذة الحماية من مكروه، فالمستعيذ محتمٍ بمن استعاذ به، ومعتصم به.

والاستعاذة أنواع:

النوع الأول: الاستعاذة بالله تعالى، وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه، والاعتصام به، واعتقاد كفايته، وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]،

وَ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾، فهذه توحيد، وهي مطلوبة.

النوع الثاني: الاستعاذة بصفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ككلامه ﷻ، ونحو ذلك، ودليل ذلك قوله ﷺ: «**أعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التّامّاتِ**» (١)، وقوله ﷺ: «**أعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتالَ مِنْ تحتِي**» (٢)، وقوله ﷺ: «**أعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وقُدْرَتِهِ مِن شَرِّ ما أجِدُ وأُحاذِرُ**» (٣)، وقوله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرضاكَ مِنْ سَخَطِكَ**» (٤)، وقوله ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ فَقَالَ ﷺ: «**أَعُوذُ بوجْهِكَ**» (٥)، وهذه توحيد، وهي مطلوبة.

النوع الثالث: الاستعاذة بالأموات، أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العون، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]، فهذه شرك محرَّم.

النوع الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين، فهذا جائز، ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن: «**ستكونُ فتنٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» برقم: (١٢٠٠)، وأخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي في «الكبرى» برقم: (٧٩١٦)، وأخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٨٧١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم: (٦٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٣٨٩١). وأخرجه الترمذي في «سننه» برقم (٢٠٨٠) ت بشار. وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» برقم: (٣٤٥٣). وأخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم (٣٨٧١).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٤٨٦).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٣١٣).

فيها خيرٌ مِنَ الماشِي، والماشِي فيها خيرٌ مِنَ السَّاعِي، ومَنْ يُشرِفْ لها تَستشرِفْهُ، ومَنْ وجدَ ملجأً أو معاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»[(١)].

وقوله: (وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾)، **الاستغاثة**: هي طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك.

وهو أنواع:

النوع الأول: الاستغاثة بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من أفضل الأعمال وأكملها، وهو دأب الرُّسُل عليهم السلام، ودليله ما ذكره المصنف رحمه الله، وهو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٦].

النوع الثاني: الاستغاثة بالأموات، أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة، فهذا شرك؛ ولا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا خفيًّا في الكون، فيجعل لهم حظًا من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

النوع الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة، فهذا جائز، قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

النوع الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر، من غير أن يعتقد أن له قوةً خفيةً، مثل أن يستغيث الغريق بشخص مشلول، فهذا لَغْوٌ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٠١). ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٨٦).

وقوله: (وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾)، **الذبح**: هو إزهاق الروح بإراقة الدم، على وجه مخصوص، **ويقع على وجوه:**

الوجه الأول: أن يقع عبادة؛ بأن يقصد به تعظيم المذبوح له، والتذلل له، والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر، والدليل هو ما ذكره المصنف رحمه الله.

الوجه الثاني: أن يقع إكراماً لضيف، أو وليمة لعرس، أو نحو ذلك، فهذا مأمور به؛ إما وجوبا، أو استحباباً، لقوله ﷺ: «**ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(١)، ولقوله ﷺ: «**أولِمْ ولو بشاةٍ**»(٢).

الوجه الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل، أو الاتجار به، ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح، فالأصل به الإباحة، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[يس:٧١-٧٢].

وقوله: (ودليل النذر: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾)، والنذر الذي امتدح الله تعالى القائمين به: هو جميع العبادات التي فرضها الله عز وجل، فإن العبادات الواجبة إذا شرع فيها الإنسان فقد التزم بها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[الحج: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٠١٨). ومسلم في «صحيحه» برقم: (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٣٧). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٤٢٧).

وأما النذر: الذي هو إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة، حكمه أنه مكروه، وقال بعض العلماء إنه محرم؛ لأن النبيَّ ﷺ نهى عن النذر وقال: «**إِنَّهُ لا يأتي بخيرٍ، وإِنَّما يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البخيلِ**» [١]، ومع ذلك فإذا نذر الإنسان طاعة لله، وجب عليه فعلها، لقوله ﷺ: «**مَنْ نذرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فليُطِعهُ، ومَنْ نذرَ أَنْ يَعصِيَهُ فلا يَعْصِهِ**» [٢].

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٦٩٦).

الأَصْلُ الثَّانِي مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلام بالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ.

وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ؛ فَأَرْكَانُ الإِسْلام خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران، ١٨]، ومَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بحَقٍّ إلا اللهُ، و(لَا إِلَهَ) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إِلَّا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ... ﴾ [الزخرف]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ، وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

قوله: (**الأَصْلُ الثَّانِي**)، أي: من الأصول الثلاثة، قال: (**مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ**)، أي: بالكتاب والسنة.

وقوله: (**وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ**)، أي: **يتضمن ثلاثة أمور**:

الأمر الأول: الاستسلام لله بالتوحيد، أي: أن يستسلم العبد لربه بإفراده بالعبادة.

الأمر الثاني: الانقياد له بالطاعة، وذلك بفعل أوامره، واجتناب ما نهى عنه سبحانه وتعالى؛ لأن الطاعة تكون في الأمر بفعله، وفي النهي بتركه.

الأمر الثالث: البراءة من الشرك وأهله، أي: أن يتخلى عن المشركين، ويتبرأ منهم، ومن الشرك، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[الممتحنة: ٤].

وقوله: (**وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ**)، فدين الإسلام ثلاث مراتب بعضها فوق بعض، وهي الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهذه الثلاث هي مراتب الدين.

وقوله: (**وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ**)، أي: أن الإسلام له خمسة أركان، والإيمان له ستة أركان، والإحسان له ركن واحد، والدليل أن أركان الإسلام خمسة من السنة حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**بُنِيَ الإِسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأنَّ مُحَمَّدًا رسُولُ اللهِ، وإِقامِ الصَّلاَةِ،**

وإِيتاءِ الزَّكاةِ، وحجِّ البَيْتِ، وصوْمِ رمضانَ»[(١)].

وقوله: (**فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إِلا اللهُ...**)، الشهادتان ركن واحد، مع أنهما من شقين، لأن العبادات تنبني على تحقيقهما معًا، فلا تقبل العبادة إلا بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، واتباع الرسول ﷺ، والإخلاص لله هو ما تتضمنه شهادة أن لا إله إلا الله، ومتابعة الرسول ﷺ هو ما تتضمنه شهادة أن محمداً رسول الله.

وقوله: (**فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ...﴾**)، ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليل شهادة أن لا إله إلا الله، ثم ذكر معناها (**لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ**)، ولها ركنان ذكرهم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإثبات والنفي، **ولها شروط ثمانية**: **الأول**: العلم المنافي للجهل، **والثاني**: اليقين المنافي للشك، **والثالث**: الإخلاص المنافي للشرك، والرياء، **والرابع**: الصدق المنافي للكذب، **والخامس**: المحبة المنافية للبغض، **والسادس**: الانقياد المنافي للترك، **والسابع**: القبول المنافي للرد، **والثامن**: الكفر بما يعبد من دون الله، وقد جمعتُ في بيتين:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُكَ مَعْ ... محبةٍ وانقيادٍ والقَبـولِ لهـا
وزِيدَ ثَمانُهـا الكُفرَانُ مِنْـكَ بِمَا ... سِوَىٰ الإِلَهِ مِنَ الأَوْثَانِ قَدْ أُلِهَا[(٢)]

هناك معبودات غير الله عَزَّوَجَلَّ ولكنها معبودات باطلة، ليس عند عابديها دليل على عبادتها، قال الله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٨). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٦).
(٢) ذكر حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الشروط السبع في الشطر الأول في «معارج القبول بشرح سلم الوصول»، وقد نظمها الشيخ ابن سحمان في داليته «أشعة الأنوار»، وفي نظمه شرح لهذه الشروط، وبيان لمعانيها، ودلالاتها.

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [يوسف: ١٠]، وكلمة "**سُلْطَان**" في القرآن معناها حجة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل سلطان في القرآن فهو حجة» (١).

وقوله: (**وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ...﴾)، قوله رحمه الله: "**وَتَفْسِيرُهَا**"، أي: تفسير "**لا إله إلا الله**"، وإبراهيم عليه السلام هو أفضل الرُّسُل بعد محمد ﷺ، وأبو إبراهيم عليه السلام اسمه آزر، وقوله عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ...﴾، هذا هو النفي في "**لا إله إلا الله**"، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، هذا معنى (**إلا الله**)، وهو الإثبات، وقوله: ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، أي: يرشدني ويوفقني إلى طريق الحق، وقوله: (﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾)، أي جعل كلمة البراءة من كل معبود سوى الله، باقية في عقبه، أي ذريته، لعلهم يرجعون؛ أي إليها من الشرك.

وقوله: (**وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ...﴾)، وقوله: ﴿قُلْ﴾، خطاب للنبيِّ ﷺ لمناظرة أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، وهذه هي "**لا إله إلا الله**"، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، أي أعرضوا عمّا تدعوهم إليه، قال: ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، أي: أعلنوا لهم بأنكم مسلمون، بريئون مما هم عليه من العناد، والآية الدالة على معنى "**لا إله إلا الله**" قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وهذه واضحة لمعنى "**لا إله إلا الله**".

وقوله: (**وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ...﴾)، يعني محمد ﷺ تعرفونه لأنه من أَنفُسِكُمْ، وهو

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٧٠٨).

من أشرف قبائلكم؛ من بني هاشم، وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾، أي يشق عليه ما يشق عليكم، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾، أي على هدايتكم وإنقاذكم من النار، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، أي ذو رأفة ورحمة بالمؤمنين، وخص المؤمنين بالذكر لأنه مأمور بجهاد الكفار.

وقوله: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ)، أي مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله أن يطيعه فيما أمر، وأن يصدقه فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فلابد من هذه الأمور الأربعة، **وطاعته فيما أمر**: من الصلاة والزكاة وغيرها، **وتصديقه فيما أخبر**: عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك من أمور غيبية، **واجتناب ما عنه نهى وزجر**: كالزنى والربا وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، **وألا يعبد الله إلا بما شرع**: أي لا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله لقول النبي ﷺ: «**مَنْ عمِلَ عمَلاً ليس عليه أمرُنا هذا فهو رَدٌّ**»[(١)]، وفي رواية: «**مَنْ أحدثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس مِنْهُ فهُوَ ردٌّ**»[(٢)]، أي مردود عليه.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢١٤٢). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٧١٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٧١٨).

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

ودَلِيلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣] .

ودَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧] .

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ؛ أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

قوله: (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ...﴾)، أي أن الصلاة والزكاة من الدين.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، فهذه الآية عامة وشاملة لجميع أنواع العبادة، فلا بد أن يكون الإنسان فيها مخلصاً، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾، أي دين الملة القيمة التي لا اعوجاج فيها، لأنها دين الله عَزَّوَجَلَّ، ودين الله مستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذه الآية الكريمة التي ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ كما تضمنت حقيقة الصلاة، والزكاة، فقد تضمنت حقيقة التوحيد وأنه الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، من غير ميل إلى الشرك، فمن لم يخلص لله لم يكن موحداً، وكذلك من صرف شيئاً من العبادة لغير الله لا يكون موحداً.

وقوله: (ودَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ...﴾)، هذه الآية فيها دليل على أن الصيام واجب وفرض.

وقوله: (ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ...﴾)، وهذه الآية تدل على أن الحج فرض على المستطيع، ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهذا دليل على أن ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلاً يكون كفراً، ولكنه كفر لا يخرج من الملة، وهذا هو قول جمهور العلماء، لقول عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة»[(١)].

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٦٢٢)، وصححه الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم: (٥٧٩).

وقوله: (الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لا إله إِلا اللهُ...)، **الإيمان**: اعتقاد في القلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شعبة، **والبضع**: من الثلاثة إلى التسع يسمى بضعًا، **والشعبة**: الجزء من الشيء، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، **وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**: إماطة الأذى يعني إزالة ما يؤذي الناس من أحجار وأشواك، **والحياء شعبة من الإيمان**: الحياء صفة تحدث عند الخجل، وتجعل المرء يترك ما يخالف المروءة.

والإسلام الذي بعث به محمد ﷺ له ثلاثة مراتب كما ذكر المصنف، فالأولى مرتبة الأعمال الظاهرة وتسمى الإسلام، والثانية مرتبة الاعتقادات الباطنة وتسمى الإيمان، والثالثة مرتبة إتقانهما وحقيقتها عبادة الله على مقام المشاهدة أو المراقبة وتسمى الإحسان.

وقوله: (وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ)، الإيمان بالله يتضمن **أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته.

الثالث: الإيمان بألوهيته.

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته.

وقوله: (وَمَلائِكَتِهِ)، والملائكة عالم غيبي مخلوقون عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية، ولا الألوهية شيء، خلقهم الله من نور، وأعطاهم القوة على تنفيذ أوامره والانقياد التام له، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾، والإيمان بالملائكة يتضمن **أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، كجبريل عليه السلام، وبمن لم نعلم اسمه إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل عليه السلام، فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق [١]، وقد يتحول المَلَك إلى هيئة رجل كما حصل لجبريل عليه السلام لمّا أتى النبي ﷺ، وسأله عن أمور الدين [٢]، وهذا بأمر الله تعالى.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور.

وقوله: (وَكُتُبِهِ)، الكتب جمع كتاب، والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رُسُلِهِ عليهم السلام، والإيمان بالكتب يتضمن **أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بأنها نازلة من عند الله حقًا.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها، كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام،

---

(١) عن أبي إسحاقَ الشَّيْبانِيُّ، قال: سألتُ زِرَّ بْنَ حُبَيْشٍ عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، قال: حدَّثنا ابْنُ مسعودٍ: أَنَّهُ «رأَى جبريلَ، لهُ سِتُّمِائَةِ جناحٍ». أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٢٣٢).

(٢) حديث جبريل عليه السلام، أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٠)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٩).

والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام، وصحف إبراهيم، وموسى عليهما السلام، وأما ما لا نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح مِنْ أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخْ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨]، أي حاكم عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقرَّه القرآنُ.

وقوله: (وَرُسُلِهِ)، الرُّسُل جمع رسول بمعنى مرسل، وهو من أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، وأول الرُّسُل نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [النساء: ١٦٣]، والإيمان بالرُّسُل يتضمن **أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بأنَّ رسالتهم حق من الله تعالى، فَمن كَفَرَ برسالة واحد منهم فقد كَفَرَ بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم اللهُ تعالى مكذبين لجميع الرُّسُل مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه، فهو أول الرُّسُل إلى أهل الأرض.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه مثل: محمد ﷺ، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرُّسُل، وأما

من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨].

الثالث: تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ، المرسل إلىٰ جميع الناس، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

وقوله: (وَالْيَوْمِ الآخِرِ)، وهو يوم القيامة الذي سيبعث الناسُ فيه للحساب والجزاء.

وللإنسان أربعة دور:

١- دار في بطن أمه.

٢- ودار الدنيا.

٣- ودار البرزخ.

٤- ودار الآخرة، وهي يوم القيامة، وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن **ثلاثة أمور**:

الأول: الإيمان بالبعث، وهو إحياء الله الموتىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤]، والبعث حَقٌّ ثابتٌ دل عليه الكتاب والسُّنةُ وإجماعُ المسلمين، قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون]، وقال رسول الله ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة حُفاة عُراة غُرْلاً**[1]»[2].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية:].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما هما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالىٰ للمؤمنين المتقين، والنار: هي دار الجحيم التي أعدها الله للظالمين الكافرين، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٧-٨]، وقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

وقوله: (**وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)، القدر هو تقدير الله تعالىٰ للكائنات حسب ما سبق علمه واقتضته حكمته، والإيمان بالقدر يتضمن **أربعة أمور**:

الأول: الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ علم كل شيء، جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبداً، سواء كان ذلك يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين

---

(١) **غرلا**: جمع أغرل، أي غير مختونين، وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته "قلفته"، وهي الجلدة التي تقطع في الختان، والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم، ولا يفقد منهم شيء حتىٰ الغرلة تكون معهم.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٥٩).

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

الثالث: الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء كانت مما يتعلق بفعله، أو مما يتعلق بفعل المخلوق، قال الله تعالى فيما يتعلق بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦].

وأما ما يتعلق بفعل المخلوقين قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

الرابع: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى في ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.

وقوله: (**وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ...﴾**)، فالإيمان هو ما يتعلق بالقلوب من التصديق بالله، وأنه رب العالمين، وأنه هو المستحق للعبادة، والتصديق بالملائكة، وبالكتب، وبالرُّسُل، وبالبعث بعد الموت، والجنة والنار، وبالقدر خيره وشره، كل هذا يتعلق بالقلوب، فهو أصل من الأصول التي لا بد منها، فلابد من إسلام الجوارح، ولابد من إسلام القلوب وإيمانها، ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم، وهكذا الرسول ﷺ ذكرهما جميعًا، الإسلام هو الانقياد الظاهر لطاعة الله وترك معصيته، والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها، ويطلق الإسلام على الإيمان، ويطلق الإيمان على الإسلام، فإذا قيل الإسلام عم

الجميع، وكذلك لو قيل الإيمان عم الجميع، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فيعم الإسلام الباطن والظاهر، وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ أَو -بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً-، فأفضَلُها قولُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأَدْناها إِماطةُ الأَذى عن الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعبةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١)، فالإيمان هنا جميع الأعمال، الظاهرة، والباطنة، ويشمل الإحسان.

والقاعدة أنَّ الإسلام، والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا:

- فإذا اجتمع الإسلام مع الإيمان، فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل عليه السلام (٢).

- وإذا افترق الإيمان وذُكر كل واحد لوحده، فكل واحد منهما يشمل الآخر، ويعم الأعمال الظاهرة،

والباطنة، كما في الحديث الذي تقدم معنا: «**الْإِيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَةً...**»، وحديث: «**بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ...**» (٣).

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٩)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٣٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٠)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٩).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٨)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٦).

المرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ، رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: " أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾[يونس:٦١].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بن الْخَطَّاب ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَىٰ فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَىٰ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»، قَالَ: فَمَضَىٰ، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟**»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم**».

قوله: (المرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ رُكْنٌ وَاحِدٌ)، بعض أهل العلم جعل للإحسان ركنين، أحدهما أن تعبد الله، والثاني أن يكون إيقاع تلك العبادة على مقام المشاهدة، أو المراقبة، والمصنف رحمه الله ذكر أن للإحسان ركناً واحداً، وهو: (أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)، فالإحسان إكمال العبادة ظاهراً وباطناً، فمن عبدَ اللهَ على هذا الاستحضار فقد أدرك مرتبة الإحسان، واجتمع له الخير كله.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾)، وبعدها بين المصنف رحمه الله الإسلام، والإيمان، والإحسان من القرآن، وذكر الدليل من السنَّة، وهو حديث جبريل عليه السلام المشهور.

الأَصْلُ الثَّالِثُ

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْن عَبْدِ الْمُطَّلِب بْن هَاشِم، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْش، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَب، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُر ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ في النبوة. نُبِّئَ بـ﴿ ٱقْرَأْ ﴾، وَأُرْسِلَ بـ ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالدَّعْوة إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر]. وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَن الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَواتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلامِ.

قوله: (**الأَصْلُ الثَّالِثُ، مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ**)، أي: هذا هو الأصل الثالث من الأصول الثلاثة، وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، فعلى الإنسان أن يعرف نبيه الذي أرسله الله إليه، وبلغه الرسالة، وبيّن له الشرائع، التي أمره الله بها، وأوضح له العبادة التي خلقنا الله لها، وهذا النبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء ورسول الله من العرب، أرسله الله تعالى للناس جميعًا جنهم وإنسهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: ٢٨].

وقوله: (**وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ...**)، فالرسول ﷺ اسمه محمد، وأحمد، والحاشر، والماحي، والمقفى، وهو نبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة، هذه كلها أسماءه ﷺ، لكن أعظمها وأشهرها محمد الذي سماه به أهله وجاء به القرآن، وأيضًا أحمد كما بشر به عيسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، ووالده عبدالله، وجده عبدالمطلب، وعبدالمطلب لقب لجده واسمه شيبة الحمد، وأبو جده اسمه هاشم، وهو سيد من سادات قريش كما أن عبدالمطلب كذلك(١).

---

(١) قال رسول الله ﷺ: (إنَّ لي أسماءً: أنا مُحَمَّدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الَّذي يمحُو اللهُ بِيَ الكُفرَ، وأنا الحاشِرُ الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ علىٰ قدمَيَّ، وأنا العاقِبُ الَّذي ليسَ بَعْدَهُ أَحدٌ). رواه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٨٩٦). ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٥٤). وعن أبي موسىٰ الأشعَرِيِّ ﷺ قال: (كان رسولُ اللهِ ﷺ يُسَمِّي لنا نَفْسَهُ أسماءً فقالَ: **أنا مُحَمَّدٌ، وأحمدُ، والمُقَفِّي، والحاشِرُ، ونَبِيُّ التَّوْبَةِ، ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ**). رواه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٥٥). قال ابن حجر ﷺ: (والَّذي يظهرُ أنَّهُ أرادَ أنَّ لي خمسةَ أسْماءٍ أختَصُّ بها لم يُسمَّ بها أحدٌ قبلي، أو مُعظَّمةٌ، أو مشهورةٌ في الأُمم الماضيةِ لا أنَّهُ أرادَ الحصرَ فيها، قالَ عياضٌ ﷺ: حمَىٰ اللهُ هذه الأسماءَ أنْ يُسَمَّىٰ بها أحدٌ قبلهُ، وإنَّما

وأما معرفة النبي ﷺ فتتضمن خمسة أمور بينها المصنف رحمه الله في هذه الرسالة:

الأمر الأول: معرفته نسبًا، فهو أشرف الناس نسبًا، فهو هاشمي، وقرشي، وعربي.

الأمر الثاني: معرفة عمره، ومكان ولادته، ومهاجره، وقد بينها المصنف رحمه الله.

الأمر الثالث: معرفة حياته النبوية، وهي ثلاث وعشرون سنة، فقد أوحي إليه وله أربعون سنة، كما قال أحد الشعراء:

وَأَتَت عَلَيهِ أَربَعونَ فَأَشرَقَت شَمسُ النُّبُوَّةِ مِنهُ في رَمضانِ (١)

الأمر الرابع: بماذا كان نبيـًا، ورسولاً، وقد بيّن ذلك المصنف رحمه الله، والفرق بين الرسول والنبي كما يقول أهل العلم: أنَّ النبي هو من أوحي إليه بشرع، ولم يؤمر بتبليغه، والرسول: مَنْ أوحىٰ الله إليه بشرع، وأُمر بتبليغه، والعمل به، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

الأمر الخامس: بماذا أُرسل، ولماذا، فقد أُرسل بتوحيد الله تعالىٰ، وشريعته المتضمنة لفعل المأمور، وترك المحظور، وأُرسل رحمة للعالمين، ولإخراج الناس من الشرك والكفر، إلىٰ التوحيد والإيمان.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾)، النداء للنبيِّ ﷺ، ومعنىٰ

تَسَمَّىٰ بعضُ العربِ مُحَمَّدًا قُرْبَ ميلادِهِ لما سمِعُوا مِنَ الكُهَّانِ والأحبارِ أنَّ نبيًّا سَيُبْعَثُ في ذلكَ الزَّمانِ يُسمَّىٰ مُحمَّدًا، فَرَجَوْا أنْ يكونُوا هُمْ، فسمَّوا أَبْناءَهُمْ بذلكَ، قالَ: وهم ستَّةٌ لا سابعَ لهم كذا قالَ، وقالَ السُّهَيْلِيُّ رحمه الله في الرَّوْض: لا يُعرفُ في العرب مَنْ تسمَّىٰ مُحمَّدًا قبل النَّبِيِّ ﷺ إلَّا ثَلَاثَةٌ: مُحمَّدُ بْنُ سُفْيانَ بْنِ مُجاشِعٍ، ومُحمَّدُ بْنُ أُحَيْحَةَ بْنِ الْجُلَاحِ، ومُحمَّدُ بْنُ حُمْرانَ بْنِ رَبِيعَةَ) فتح الباري (٦/ ٥٥٦).

(١) قاله أبو زكريا يحي بن يوسف الصَّرصري (ت ٦٥٦هـ)، في نونيته: "معارج الأنوار في سيرة النبي المختار".

المدثر الملتحف؛ لأنه بعدما جاءه الوحي اشتد عليه الأمر وقال ﷺ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَدَثَّرُونِي**»(١)، وذلك من شدة ما أصابه من الخوف لما ضغط عليه جبريل عليه السلام مرات، ثم قال له: «اقرأ»(٢) تمهيداً لأعباء الرسالة، وعظمتها، وقد فسر المصنف رحمه الله هذه الآيات.

قوله: (**أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ**)، أي أنَّ النبيَّ ﷺ بقي يدعو إلى التوحيد عشر سنين.

وقوله: (**وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ**)، أي صعد إلى السماء، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾، وهذا العروج من خصائص النبي ﷺ، وقد عرج به مع جبريل عليه السلام، وفتحت له السماوات إلى موضع شريف فوق السماء السابعة، حتى سمع صوت صريف الأقلام، ثم ناداه الله عز وجل، وكلَّمه، وفرض عليه الصلوات الخمس، فرضها عليه خمسين صلاة، ثم لم يزل يطلبه التخفيف حتى جعلها الله تعالى خمساً، فقال: «**هي خمس في العدد، وهي خمسون في أم الكتاب**»(٣)، فمن حافظ على الصلوات الخمس وأداها، فكأنما صلى خمسين صلاة بالفعلة.

قوله: (**وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ**)، وهذا بعدما اشتد عليه أذى قريش له، ولأصحابه رضي الله عنهم، فأذن الله له بالهجرة من مكة إلى المدينة، وذهب إلى الأنصار رضي الله عنهم، وقد بايعوه في موسم الحج، فلما تمت البيعة هاجر إليهم، وقد كان

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٩٢٥). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٤٩). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٦٣). بلفظ: (هيَ خمسٌ، وهيَ خَمْسُونَ...).

بعض أصحابه ﷺ هاجروا قبله إلى الحبشة، فلما استقر في المدينة جاء الذين هاجروا للحبشة، واستقر الجميع في المدينة.

قوله: (**وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ**)، والهجرة في اللغة مأخوذة من الهجر، وهو التركُ، وأما في الشرع كما عرفها المصنف رحمه الله، وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر، ولا تقام فيه شعائر الإسلام، كالأذان، وصلاة الجماعة، والأعياد، والجمعة، فإذا أقيمت فيه شعائر الإسلام، وظهرت فيسمى بلد الإسلام، وعندما استقر في المدينة أمره الله تعالى ببقية شرائع الإسلام، من الصيام، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ لأن المدينة صارت دار الإسلام، وعاصمة المسلمين، وهذا من رحمة الله عز وجل تأخير هذه الواجبات إلى هجرته ﷺ.

وكان أصل الزكاة مشروعـًا في مكة، كما قال الله تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، ولكنَّ أنصباءها ومصاريفها وتفاصيل أحكامها كلها صارت في المدينة، وكذا صيام رمضان، شرع في السنة الثانية من الهجرة، وكذلك الحج شرع في السنة التاسعة، أو العاشرة من الهجرة، وأنزل الله فيه في سورة آل عمران وهي مدنية: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، والجهاد كذلك أمر به في المدينة، وكان في بادئ الأمر يجاهد مَنْ جاهده، ويكف عن مَنْ كَفَّ عنه، ثم أُمر بأن يبدأهم بالقتال، ويجاهد الكفار، وإن لم يبدؤوا؛ يدعوهم إلى الله، ويرشدهم إليه، فإن أجابوا وإلا قاتلهم، حتى يستجيبوا للحق، إلا أهل الكتاب، فإنه يقبل منهم الجزية، وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب، إما إسلام، وإما جزية، وأما بقية الكفرة فإما أن يُسْلموا، أو يقاتلهم.

وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بلد الإِسْلام، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «**لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**».

قوله: (وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بلد الإِسْلامِ...)، وأما ما يفعله بعض الناس اليوم الذين يذهبون من بلد الإسلام إلىٰ بلد الكفر ويسمون أنفسهم المهاجرين، فهذا خطأ؛ لأن السفر إلىٰ بلد الكفر محرم إلا بثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلىٰ ذلك.

فلا يجوز السفر إلىٰ بلاد الكفار، لما في ذلك من الفتنة، أو خوف الفتنة.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»)، قال الله تعالىٰ مبيناً انقطاع التوبة في آخر الزمان: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمراد بقوله: ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾، طلوع الشمس من مغربها(١).

❁ ❁ ❁

(١) تفسير ابن جرير الطبري «سورة الأنعام: ١٥٨»

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ؛ مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ـ صَلواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ وَدِينُهُ بَاقٍ.

وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ.

وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ.

وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاس كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١].

قوله: (**فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ...**)، أي أخذ النبيُّ ﷺ عشرَ سنين بعد هجرته، فلما أكمل اللُه به الدين، وأتم به النعمة على المؤمنين، اختاره الله تعالى لجواره، فابتدأ به المرض ﷺ في آخر شهر صفر، وأول شهر ربيع الأول، فخرج إلى الناس عاصبًا رأسه، وصعد المنبر، فتشهد وكان أول ما تكلم به بعد ذلك أن استغفر للشهداء الذين قُتلوا في أُحُد، ثم قال ﷺ: «**إِنَّ عبدًا خيَّرهُ اللهُ بين أنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيا**[١] **ما شاءَ، وبين ما عِنْدَهُ، فاختارَ ما عِنْدَهُ**»، فبكى أبو بكرٍ وقالَ: فديناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا؛ فعجِبنا لهُ، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رسُولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيَّرهُ اللهُ بين أنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زهرةِ الدُّنيا، وبين ما عندهُ، وهوَ يقولُ: فديناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فكانَ رسُولُ اللهِ ﷺ هوَ المُخيَّرَ، وكانَ أبُو بكرٍ هوَ أعْلَمَنا بهِ، وقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ**[٢] **عليَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بكرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خليلًا مِنْ أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسلامِ، لا يَبْقَيَنَّ في المسجدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ**[٣] **أبي بكرٍ**»[٤]، وأمرَ أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر، أو الثالث عشر من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة اختاره الله لجواره، فلما نزل به المرض جعل يدخل يده في ماء عنده ويمسح وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات، ثم شخص بصره نحو السماء فقال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**»[٥].

---

(١) **زهرة الدنيا**: نعيمها وأعراضها.

(٢) **أَمَنِّ النَّاسِ**: أكثرهم جودا بنفسه وماله بدون استثابة ولا منة

(٣) **الخَوْخَةُ**: هي الباب الصغير بين البيتين ونحوه.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٤٦). ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٢).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٥١٠).

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[نوح:١٧].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٥].

قوله: (وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...﴾)، أي من الأرض حين خُلِقَ آدم عليه السلام من تراب، وقوله: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...﴾، أي بالدفن بعد الموت، وقوله: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، أي: بالبعث يوم القيامة.

وقوله: (وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾)، أي أن الناس بعد البعث يحاسبون على أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله: (وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا...﴾)، فهذه الآية فيها بيان أن من كذب بالبعث فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقوله: (وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ...﴾)، بين المصنف رحمه الله في هذه الآية الدليل على أن الله تعالى أرسل جميع الرُّسُل مبشرين ومنذرين، وأن الله أرسلهم لحكمة،

والحكمة من إرسالهم أن تقوم الحجة على الناس، حتى لا يكون لهم على الله تعالى حجة بعد إرسال الرُّسُل، كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقوله: (وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ...)، فأول الرُّسُل هو نوح عليه السلام، والدليل ما ذكره المصنف رحمه الله، وثبت في الصحيح من حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له: «**أنت أول رسول أرسله الله إلى هذه الأرض**»[1]، فلا رسول قبل نوح، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه السلام قبل نوح عليه السلام، بل الذي يظهر أن إدريس من أنبياء بني إسرائيل، وأمّا آخر الأنبياء وخاتمهم فهو محمد ﷺ لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا نبي بعده، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب، وكافر، ومرتد عن الإسلام.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٣٤٠). ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٩٣).

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل:٣٦]،وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «**رأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنامِهِ الْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**».

وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا...**)، أي أن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن الشرك، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾)، أي وحدوا الله؛ واجتنبوا الشرك.

وقوله: (**قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ**)، أراد ابن القيم رحمه الله بهذا أن التوحيد لا يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الطاغوت، وقد فرض الله تعالى ذلك على عباده، والطاغوت كلمة مشتقة من الطغيان، **والطغيان**: مجاوزة الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]، أي لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في السفينة، وأحسن ما قيل في تعريفه في الاصطلاح هو ما ذكره ابن القيم رحمه الله.

وقوله: (**وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ...**)، أولهم إبليس، الذي قال الله له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]، وكان إبليس مع الملائكة بصحبتهم يعمل عملهم، ولما أُمر بالسجود لآدم عليه السلام ظهر ما فيه من الخبث، وأبى، واستكبر، وكان من الكافرين، فطرد من رحمة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقوله: (**وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ...**)، أي راضٍ أن يعبد من دون الله، سواء في حياته أم بعد مماته.

وقوله: (**وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ...**)، وإنْ لم يعبدوه، فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يُجب.

وقوله: (**وَمَنِ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ...**)، الغيب: ما يغيب عن الإنسان، وهو نوعان:

الأول: واقع، ومستقبل، فالغيب الواقع نسبي، يكون معلوماً لشخص، ومجهولاً لآخر.

الثاني: غيب مستقبل حقيقي، لا يكون معلوماً لأحد إلا الله وحده، أو من أطلعه عليه من الرُّسُل، فمن ادّعى علمه فهو كافر، لأنه مكذِّب لله ﷻ ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، فإذا كان الله تعالى أمر نبيه محمداً ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم مَنْ في السموات والأرض الغيب إلا الله، فإن مَنْ ادّعى علم الغيب فقد كذب الله ورسوله ﷺ بهذا الخبر، ونقول لهؤلاء: كيف يمكن أن تعلم الغيب، والنبي ﷺ لا يعلَم الغيب؟ هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ؟ فإن قالوا: نحن أشرف؛ فقد كَفروا بذلك، وإن قالوا: هو أشرف، فنقول لماذا يُحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه؟ وقد قال الله ﷻ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن:٢٦]، وهذه الآية دليل آخر يدل على كفر مَنْ ادّعى الغيب.

وقد أمر الله تعالى نبيّه أن يعلن للملأ قائلاً: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾.

وقوله: (**وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ...**)، الحكم بما أنزل الله تعالى هو

من توحيد الربوبية لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أرباباً أي معبودين لمتبوعيهم، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، فسمى الله تعالى المتبوعين أرباباً حيث جُعلوا مشرعين مع الله عَزَّوَجَلَّ، وسمى المتبعين عباداً، حيث إنهم ذلوا لهم، وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى.

ولا شك أنّ الحكم بغير ما أنزل الله جريمة كبرى، لكن بالنسبة للتكفير فأهل السنَّة يفصلون فيه، ويكون الحكم فيها على أحوال:

الحالة الأولى: من حكم بغير ما أنزل الله، وهو يعلم أنه يجب عليه الحكم بما أنزل الله، وأنه خالف الشرع، ولكن استباح هذا الأمر، ورأى أنه لا حرج عليه في ذلك، وأنه يجوز له أن يحكم بغير شريعة الله، فهو كافر كفراً أكبر عند جميع العلماء.

الحالة الثانية: من حكم بغير ما أنزل الله، وقال إن حكم غير الله مساوٍ لحكم الله، والإنسان مخير بين الحكم بما أنزل الله، وبين غير حكم الله، فهذا كافر بإجماع العلماء.

الحالة الثالثة: من حكم بغير ما أنزل الله لهوى أو لحظ، وهو يعلم أنه عاصٍ لله، ورسوله ﷺ، فهذا وقع في منكر عظيم، ويجب عليه التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وحكمه أنه عاصٍ، وكافر كفراً أصغر كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهم من أهل العلم، فقد ارتكب بذلك كفراً دون كفر، وظلماً دون ظلم، وفسقاً دون

فسق، وهذا قول أهل السنة والجماعة [(١)]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ

(١) قال ابن أبي العز شارح "الطحاوية" ﵀: (**عند شرحه لقول الطحاوي: "ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله..**)، وهنا أمر يجب أن يُتفطَّن له، وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرًا ينقل عن الملَّة، وقد يكون معصيةً كبيرةً أو صغيرةً، ويكون كفرًا: إما مجازيًّا، وإما كفرًا أصغر، علىٰ القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم: فإنه إن اعتقد أنَّ الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخيَّر فيه، أو استهان به، مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفرٌ أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه، مع اعترافه بأنه مستحقٌّ للعقوبة؛ فهذا عاصٍ، ويسمىٰ كافرًا كفرًا مجازيًّا أو كفرًا أصغر، وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطائه؛ فهذا مخطئ، له أجرٌ علىٰ اجتهاده، وخطؤه مغفور) شرح الطحاوية لأبي العز (ص: ٣٢٣).

وقال ابن تيمية ﵀: «وإذا كان مِن قول السلف: "إن الإنسان يكون فيه إيمان ونفاق"، فكذلك في قولهم: "إنه يكون فيه إيمان وكفر" ليس هو الكفر الذي ينقل عن الملة، كما قال ابن عباس وأصحابه في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، قالوا: "كفروا كفراً لا ينقل عن الملة"، وقد اتبعهم علىٰ ذلك: أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة» (مجموع الفتاوىٰ ٧/ ٣١٢).

وقال ابن القيم ﵀ عن الكفر الأصغر: «وهذا تأويل ابن عباس وعامة الصحابة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر. وكذلك قال طاووس. وقال عطاء: هو كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق» (مدارج السالكين ١/ ٣٤٥)

وقال ابن باز ﵀: «يكون كافراً كفراً أصغر وظالماً ظلماً أصغر وفاسقاً فسقاً أصغر، كما صح معنىٰ ذلك عن ابن عباس ومجاهد وجماعة من السلف» (الفتاوىٰ ٦/ ٢٥٠).

فأما الألباني ﵀ فقد قرر أن الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفراً إلا بالاستحلال (انظر فتواه في مجلة «السلفية»، عدد ٦، ص ٣٤ – ٤٢). وقد علَّق ابنُ باز علىٰ فتوىٰ =

هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]، وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [المائدة: ٦٥]، وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، فحكم الله هو أحسن الأحكام وهو واجب الاتباع، وبه صلاح الأمة وسعادتها في العاجل والآجل، ولكن أكثر الخلق في غفلة فمن لم يحكم بما أنزل الله فالحكم عليه فيه تفصيل؛ إما أن يكون كافراً، وإما أن يكون ظالمـاً، وإما أن يكون فاسقاً.

وقوله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ...﴾) ، أي لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها، ووضوحها، ولهذا قال بعده: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾، فإذا تبين الرشد من الغي، فإن كل نفس سليمة لابد لها أن تختار الرشد على الغي، وقد بدأ الله تعالى بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت، ولهذا يقال: «التخلية قبل التحلية»، وقوله في الآية التي أوردها المصنف رحمه الله: ﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾، العروة الوثقى هي الإسلام، وقوله (**استمسك**) ولم يقل: (**تمسك**) لأنَّ الاستمساك أقوى من التمسك، فإن الإنسان قد يتمسك ولا يستمسك.

= الألباني رحمهما الله وأقرها بقوله: «فألفيتها كلمة قيمة قد أصاب فيها الحق، وسلك فيها سبيل المؤمنين، وأوضح وفقه الله أنه لا يجوز لأحد من الناس أن يكفر من حكم بغير ما أنزل الله بمجرد الفعل من دون أن يعلم أنه استحل ذلك بقلبه» (الفتاوى ٩/ ١٢٤).

وقوله: (وفِي الْحَدِيثِ: «رأْسُ الأَمْرِ الإِسْلام، وعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»)، «**رأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ**»، يعني: رأسُ الدين هو الإسلام، أي: شهادةُ أن لا إلَه إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ اللهِ، فمَن التزم بها دخل الإسلام.

«**وعَمُودُهُ الصَّلاةُ**»، وهي الركن الثاني، وهي أعظمُ الأركانِ بعدَ الشهادتين، ثُمَّ يَلي ذلك الزكاة، والصيام، والحج، وبقيةُ أوامر الله.

«**وذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، لأن به صيانة الدين، وحمايته، وبه دعوةُ الناس إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وإلزامُهم بالحقِّ، فهو ذروةُ سَنامِه من جهة ما تضَمَّنه من حماية الدين، والدعوة إلى الحقِّ.

وقوله: (وَاللهُ أَعْلَمُ. وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعلى آله وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)، انتهى المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى من رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها، ونسأل الله أن يرحمه، ويجزيه خير الجزاء، ويسكنه الفردوس الأعلى، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشيخ الدكتور هيثم السرحان.....	٥
مقدمة الشارح.....	٧
نبذة موجزة عن حياة المؤلف.....	٩
مميزات هذا الكتاب.....	١١
مشروعية البدء بالبسملة.....	١٤
الجهل على نوعين.....	١٦
العلم على نوعين.....	١٦
الإسلام له معنيان: عام، وخاص.....	١٨
تنقسم الأدلة إلى نوعين.....	١٩
الأعمال على أربعة أنواع.....	٢٠
الصبر ثلاثة أقسام.....	٢١
المسألة الأولى.....	٢٦

الموضوع	الصفحة
المسألة الثانية.....	٢٨
المسألة الثالثة.....	٢٩
يباح للمسلم أن يتعامل مع الكفار بالبر والقسط.....	٣٠
أقسام التوحيد الثلاثة.....	٣٢
توحيد الربوبية.....	٣٣
توحيد الألوهية.....	٣٣
توحيد الأسماء والصفات.....	٣٣
بيان عدم صحة تقسيم التوحيد إلى أربعة أقسام (توحيد الحاكمية).	٣٣
تعريف العبادة.....	٣٤
أركان العبادة.....	٣٤
شروط العبادة.....	٣٥
أقسام العبادة.....	٣٥
آيات الله على نوعين.....	٣٦

الموضوع	الصفحة
الأصل الأول.....	٤٠
تعريف التقوى.....	٤١
أول نهي في القرآن.....	٤٢
قاعدة: النكرة في سياق النهي تعم.....	٤٤
الدعاء مخ العبادة.....	٤٥
الدعاء على نوعين: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.....	٤٦
الخوف ثلاثة أنواع.....	٤٨
تعريف التوكل.....	٤٨
الاستعانة على أربعة أنواع.....	٤٩
الاستعاذة على أربعة أنواع.....	٥٠
تعريف الاستغاثة.....	٥٢
الذبح وأحكامه.....	٥٣
النذر وأحكامه.....	٥٣

الموضوع	الصفحة
الأصل الثاني.....	٥٦
مراتب الإسلام.....	٥٦
أركان الإسلام.....	٥٧
معنى كلمة سلطان في القرآن.....	٥٨
مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله.....	٥٩
حكم ترك الحج ممن استطاع إليه سبيلًا.....	٦٢
تعريف الإيمان.....	٦٣
الإيمان بالله يتضمن أربعة أمور.....	٦٣
الإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور.....	٦٤
الإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور.....	٦٤
الإيمان بالرُّسُل يتضمن أربعة أمور.....	٦٥
دُور الإنسان الأربعة.....	٦٦
الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور.....	٦٦

الموضوع	الصفحة
الإيمان بالقدر يتضمن أربعة أمور.....	٦٧
الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.....	٦٩
الأصل الثالث.....	٧٤
معرفة النبي ﷺ تتضمن أربعة أمور.....	٧٥
حكم السفر إلى بلاد الكفار.....	٨٠
أول الرُّسُل هو نوح عليه السلام.....	٨٥
آخر الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ.....	٨٥
الغيب نوعان.....	٨٩
الحكم على من يحكم بغير ما أنزل الله على أحوال.....	٨٩
معتقد أهل السنة والجماعة في الحكم بغير ما أنزل الله.....	٩٠
العروة الوثقى هي الإسلام.....	٩٢
شرح حديث رأس الأمر الإسلام.....	٩٣
الخاتمة.....	٩٣